في تقرير أولي عن فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م :

إنجازات بحجم المناسبة.. وحراك ثقافي وقتي لفت الأنظار

□ ها هي صنعاء في عام زهوها عاصمةً للثقافة العربية تختتم فعالياتها بعد حصاد ثقافي كان طفرة في تاريخ الحراك الثقافي في بلادنا، فقد احتفلت صنعاء أبهى احتفال وشهدت في صباحاتها ولياليها أجمل الإبداعات وأروع الفنون، وحققت، بما أنجزته، سيرة عطرة تحدّث عنها كل الضيوف الذين زاروا صنعاء، عرباً وأجانب، وأشاد بذلك وزراء الثقافة العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وربما كانت واحدة من العواصم الثقافية القليلة التي استطاعت أن تحقق مثل هذا الحضور وهذا الحراك الثقافي المتمثل في مئات الفعاليات والأسابيع والقوافل الثقافية من المحافظات والأسابيع الثقافية العربية، إلى جانب الفعاليات والمؤتمرات والندوات الخاصة ومئات الإصدارات الثقافية والعلمية وتكريم المئات من المبدعين، من بينهم العشرات من القامات الثقافية المبدعة في اليمن وفي الأقطار العربية الأخرى.

أعده للنشر/علي ربيع

□ استضافة أكثر من ثلاثة آلاف مبدع وتكريم (٤٨٠) شخصية أدبية وفنية وثقافية

لقد كان عام صنعاء الثقافي واحداً من أبهى الأعوام الثقافية في ما يخص العواصم العربية، ولا شك في أنه استطاع تحريك الجامد وبعث الهامد، مما أوجد فعلاً ثقافياً غير مسبوق يُنتظر له أن يستمر ويتواصل، ورغم الظروف التي تعيشها بلادنا مقارنة بغيرها من العواصم العربية، إلاّ أن صنعاء أثبتت للجميع أنها الحضارة والتاريخ والثقافة والفن في أزهى الصور وأجمل الحلل.

ولكي نعطي القارئ الكريم نبذة موجزة عن إنجازات صنعاء الثقافية بفعالياتها المختلفة، نورد هذا التقرير الأولي عن فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م، المنجزة في الفترة من يناير وحتى ديسمبر ٢٠٠٤م، وحسب ما هو موثق في المكتب التنفيذي لصنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م، فقد بلغ عدد الفعاليات التي أقيمت خلال الفترة من يناير إلى ديسمبر ٢٠٠٤م أكثر من (٧٨٩) فعالية، من بينها حوالي خمسمائة واثنان وأربعون فعالية رعتها ونظمتها وزارة الثقافة والسياحة من أول يناير وحتى آخر ديسمبر ٢٠٠٤م، وبلغ عدد الفعاليات التي نظمتها وزارة الثقافة والسياحة بالاشتراك مع مؤسسات وجهات ثقافية أخرى، (٩٩) فعالية، فيما بلغ عدد الفعاليات التي أقامتها ونظمتها مؤسسات ثقافية مختلفة، حوالي (١٤٨) فعالية.

وتشير المعلومات التفصيلية عن توجهات الفعاليات إلى أن الفعاليات الموسيقية والإنشادية والفنون الشعبية احتلت المركز الأول، حيث أقيمت خلال هذه الفترة (٢٢٨) فعالية، وتأتي الندوات والمحاضرات والحلقات الفكرية في المركز الثاني بإقامة (١٦٥) فعالية، تليها معارض الكتب والفنون التشكيلية والصور الفوتوغرافية والحرف والمشغولات اليدوية في (١١٩) فعالية، أما الفعاليات المسرحية والسينمائية فقد بلغت (١١٢) فعالية، بعد ذلك تجيء المؤتمرات والملتقيات والمهرجانات والقوافل التي بلغت (٦١) فعالية.

وخلال هذا العام تمت استضافة (٣٠٦٠) شخصية من الأدباء والفنانين والكُتّاب اليمنيين والعرب والعالميين، منهم (١٨٦٠) من اليمنيين و(٩٠٠) من الدول العربية و(٣٠٠) من بقية دول العالم.

مطبوعات صنعاء

□ وفي مجال النشر أصدرت وزارة الثقافة والسياحة خلال هذه الفترة (٣٩٤) كتاباً في طباعة متميزة، من بينها المجموعات الشعرية الكاملة لجيل الرواد مثل : صالح الحامد، محمد محمود الزبيري، لطفي جعفر أمان، محمد سعيد جرادة، إبراهيم صادق، إدريس حنبلة، إلى جانب مؤلفات فكرية وتاريخية ونقدية وأعمال أدبية لأدباء من مختلف الأجيال.

تكريم المبدعين

□ وتقديراً لإبداعات الأدباء والمثقفين اليمنيين وبعض المبدعين العرب، ومن أجل تحفيزهم على مواصلة مشوارهم الإبداعي، فإن وزارة الثقافة والسياحة قامت بتكريم حوالي (٤٨٠) شخصية أدبية وفنية وثقافية في احتفالات خاصة قام خلالها الأستاذ خالد عبدالله الرويشان، وزير الثقافة والسياحة، بتكريمهم نيابة عن فخامة الأخ علي عبدالله صالح، رئيس الجمهورية، وتسليمهم تذكار صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م، إلى جانب المخصص المالي للتكريم، ومن أبرز المكرمين : المؤرخ اسماعيل بن علي الأكوع، المؤرخ محمد حسين الفرح، العالم خالد نشوان، الكاتب محمد المساح، ومن الفنانين : محمد مرشد ناجي، أبو بكر سالم بلفقيه، المرحوم أحمد بن أحمد قاسم، عبدالله هادي سبيت، فيصل علوي، عبده عبدالكريم العبدلي، عوض أحمد، محمد علي ميسري، محسن عطروش، منى علي، عبدالباسط عبسي، آدم سيف، يحيى السنحاني، عبدالله شاكر، رشيد الحريبي، كرامة مرسال، أحمد علي المعطري، فؤاد الفتيح، هاشم علي، المرحوم محمد جمعة خان، ومن الشعراء : د . عبدالعزيز المقالح، علي عبدالرحمن جحاف، محمود علي السلامي، المرحوم لطفي جعفر أمان، المرحوم محمد سعيد جرادة، ومن العرب تم تكريم (١٢٠) شخصية أدبية وفكرية وفنية، منهم : العالم فاروق الباز، الفنان محمد عبده، الفنانة هيام يونس، الفنان عبدالله الرويشد، الفنان طارق عبدالحكيم، الروائي عبده خال، الكاتبة ليلى العثمان، ومن الشعراء : جودة فخر الدين، شوقي بزيع، جوزيف حرب، إضافة إلى الشعراء العرب والنقاد الذين شاركوا في ملتقى صنعاء الأول للشعراء العرب، وكذلك المشاركين في الفعاليات المختلفة، وتم منح رواتب شهرية لعشرات الفنانين، وكذلك لأسر الكثير من الفنانين الراحلين.

قوافل المحافظات

□ وخلال الفترة من يناير إلى ديسمبر ٢٠٠٤م نظمت وزارة الثقافة والسياحة، عبر المكتب التنفيذي لصنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م، فعاليات ثقافية خاصة لعدد من المحافظات هي : (لحج، ذمار، أبين، المهرة، إب، المحويت، تعز، شبوة، صعدة، حضرموت، صنعاء، الضالع، الحديدة، مارب، البيضاء، ريمة، حجة، الجوف، عمران، عدن).

ويقول التقرير إن كل محافظة من هذه المحافظات تُقدِّم، على مدى أيام، فعالياتها في عاصمة العرب الثقافية صنعاء وتشمل : المعارض التشكيلية والفلكلورية، والحفلات الغنائية والموسيقية، والعروض المسرحية، والندوات الأدبية والتاريخية، والقراءات الشعرية والقصصية، ويتم خلال هذه الأيام تكريم أبرز مبدعي المحافظة من أدباء وفنانين ومثقفين، ومن إجمالي عدد الفعاليات أقيمت (٤٨) فعالية عربية و(٣٤) فعالية أجنبية.

أبرز الفعاليات العربية والأجنبية

□ ومن أبرز الفعاليات العربية والأجنبية في صنعاء : ملتقى الرواية العربية الألمانية بمشاركة الروائي العالمي غونتر غراس وكبار الروائيين العرب، معرض وندوة الثقافة العربية والإسلامية في صقلية، الندوة الدولية لحوار الحضارات، ملتقى صنعاء الأول للشعراء العرب الشباب، معرض «اليمن في عيون مصرية»، حفلات الفنان محمد عبده في صنعاء وعدن وحضرموت، حفلات الفنان عبدالله الرويشد والفنانة هيام يونس، حفلات فرقة الوادية الجزائرية، حفلات فرقة الحارث الإندونيسية - اليمنية، حفلات الفرق الموسيقية الفرنسية (داود والمازيرا وبادبلا)، حفلات فرقة تكابيرا الإيطالية، حفلات فرقة الأوركسترا الألمانية يوربا فلهارموني وفرقة كورال كور كلنشه بون، عرض مسرحية «لن تسقط القدس» للنجم نور الشريف، معارض تشكيلية للألمانيتين ماريا مآندا وأوليركا إيمانو بليديس والعراقي خالد النعيمي والكويتية مي النوري والسوداني راشد ذياب، معرض عن تطور الصين، معرض فن الجرافيك الياباني، حفلات لفرقة تشورا اليابانية وفرقة لويجي تشينكوه الإيطالية، معرض صنعاء الدولي الـ ٢١ للكتاب، ملتقى الطفولة العربي، مهرجان الفيلم الأوروبي، أيام الفيلم الياباني، مؤتمر العمارة اليمنية، ندوة إسهامات اليمن في الثقافة العربية، الأيام الثقافية العربية للمغرب ومصر ولبنان والكويت وموريتانيا والسودان.

أبرز الفعاليات المحلية

□ ومن أبرز الفعاليات المحلية : مهرجان «أيام عدن المسرحية»، مهرجان «آفاق الروح» للمبدعين ذوي الاحتياجات الخاصة، مهرجان أحفاد البردوني، مهرجان صنعاء للإنشاد، مهرجان الزرانيق، بروز عدد كبير من الشعراء والكُتّاب والفنانين في الأيام الثقافية الخاصة بالمحافظات، ومن ذلك العروض المسرحية لمحافظات : عدن، ذمار، تعز، إب، المعارض التشكيلية لفناني لحج، ذمار، أبين، المهرة، تعز، الحديدة، عدن، إلى جانب عدد كبير من المعارض التشكيلية والكاريكاتورية.

برنامج «أعلام الأغنية اليمنية»

□ وضمن برنامج «أعلام الأغنية اليمنية» الذي يهتم بأعمال الفنانين الراحلين، قُدمت ندوات وأعمال غنائية للفنانين : علي الآنسي، محمد سعد عبدالله، المحضار، السمة، السندباد، إسكندر ثابت، وحفلات خاصة بفرقة جميل غانم الموسيقية في صنعاء، وفرقة بلابل اليمن، ونظمت الوزارة حفلتين إنشاديتين بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية والمولد الشريف، وكذلك تنظيم حفلات الأعياد الوطنية.

□ إقامة أكثر من (٨٢) فعالية عربية وأجنبية وإنشاء وترميم عدد من المسارح وبيوت الفن

البنية التحتية

□ وخلال هذه الفترة وفي إطار البنية التحتية تم إنجاز ترميم المتحف الوطني بصنعاء، وإقامة مسرح الهواء الطلق بصنعاء القديمة، وإنشاء مسرحين مفتوحين في حديقتي الثورة والسبعين، ومسرح الطفل في المركز الثقافي، وإنشاء وافتتاح بيتين للفن التشكيلي في إب وذمار ضمن مشروع بيوت الفن في المحافظات، وتجهيز صالة الفنان هاشم علي في المركز الثقافي بصنعاء.

المشاركات الخارجية

□ وعلى صعيد المشاركات الخارجية شاركت الفرقة الفنية في محافظة حضرموت في مهرجان بعُمان، كما شاركت الفرقة الفنية بمحافظة لحج في مهرجان الدوحة بقطر وفرقة المسرح الوطني في مهرجان عمّان المسرحي، وهناك مشاركات أخرى في تونس وألمانيا وكندا.

ساحة خضراء

السلام وعيد الميلاد..؟

□ .. يحتفل العالم بعيد الميلاد المجيد .. في الوقت الذي يعيش فيه العالم أسوأ أيامه وشهوره وسنواته .. فلسطين والعراق .. وهيمنة القطب الواحد على مقدرات العالم تأتي احتفالات رأس السنة الميلادية .. والعالم يبحث عن السلام .. عن الحرية والعدالة..

المجد لله في الأعالي .. وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة .. كلمات عبرت عن الحب والسلام والإخاء بين الناس..؟ الحياة محبة.. والله محبة .. لهذا يبحث العالم عن الأمن والأمان والسلام.. بديلا للحروب والمجاعة .. وظلم الانسان لأخيه الانسان..

عام ٢٠٠٤م مر بكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات .. وسندخل عاما ميلاديا جديدا. عام ٢٠٠٥م نحتسب إلى الله بأن يكون عاما للخير والمودة والسلام.. ويرتفع شعار «لا للحروب .. لا للمذابح»..

غدا تدق أجراس الكنائس وتوزع الهدايا ويعيش المسيحيون أفراحهم بالمناسبة، فيا ترى .. متى سيعم السلام أرض السلام فلسطين .. وتتحرر وتعود القدس مسرى النبي محمد عليه أفضل السلام وبيت لحم مهد المسيح عليه السلام..

إن الأديان السماوية كلها تجمع على السلام وتنبذ الحروب .. وتدعو أيضا إلى فتح مساحة واسعة للحوار والتقارب والتآلف .. بين الأديان (ومعتنقيها)، إن السلام العادل مطلب لكل الناس .. إن تذكرنا مقولة الكاردينال البريطاني كورماك زعيم الكنيسة الكاثوليكية البريطانية . في رسالته عشية عيد الميلاد:

«الشيء الفضيع أن تنفق المليارات وأعني مليارات الجنيهات على الحرب في الشرق الاوسط والتي كان يمكن انفاقها لإنقاذ الناس من الفقر المدقع وسوء التغذية والمرض»..

كما قال: إن الكاثوليك لا يمكنهم أن يتمنوا بضمير خالص لإخوانهم المسيحيين في الشرق الاوسط وافريقيا عيد ميلاد سعيد ، مالم يكونوا على استعداد لعمل كل ما بوسعهم لتحقيق السلام.

فؤاد عبدالقادر

■ «دعوا عنكم أولئك الذين يزينون لكم حياتنا العربية التعيسة بكل الأكاذيب! دعوا عنكم أولئك الذين تسمونهم بالأفاقين والكذابين! من يقرأ تاريخنا منذ جذوره الأولى سيجد أن هناك من كان يقف على هامشه ينعق ويزعق ويفرش الدروب بالورود والرياحين ويناغي السلاطين ويلاطف المجاملين والمداهنين والأفاكين الذين يصاحبهم أرتال من المزيفين والكذابين وأصحاب الشعارات والمزايدات وبائعي العواطف والبكائيات، وترى في زاوية أخرى جملة من المداحين المهزوزين الخائفين والمتشبثين وأصحاب النوادر والحكايات المضحكة ويصاحبهم رهط من الهزليين المضحكين وشعراء من الحالمين في كل واد يهيمون، وترى في الخياليين أناس من نوع آخر سادرون في أبراجهم لا يسمعون كأنهم من طين أو عجين، والحكواتيون في أركانهم يثرثرون ومتصوفة في تكاياهم يتجذبون وفي الشوارع مشعوذين وسحرة ومنافقين، وهناك حيث تكثر أسواق الكلام تجد كتاباً ونساخاً من إنشائيين ومفذلكين وقصاصين وحاكة كلام لا معنى له مكرور أو بليد أو مرصع بكل ما هو ثقيل بالدم، إذا سألت وتحريت عن المضامين فلا تخرج إلاّ بخفي حنين، وذاك العصي الشجي من يترجم الواقع بما تراه العين وما تستلزمه متطلبات حياتنا اليوم! أجاب صاحبي : لا أدري متى يقرأ هؤلاء ويطلعون بما فيه الكفاية حتى يكتبون، إنهم يكتبون ما هب ودب من دون أن يراعوا قوة التفكير وحاجات الواقع ومستلزمات المستقبل لهذه الأمة من أبنائنا الرائعين الطيبين».

الفكر العربي كما يسمونه

□ إن حجم ما يعالج من موضوعات في هذا الذي يسمونه «فكر عربي» لا يتناسب زبداً مع ما يحتاجه الواقع، ونحن ندرك بداياته المحددة وانطلاقاته المعينة ومدى متطلباته الأساسية في التغيير، والأمر يختلف بالنسبة للنهايات التي لن تنتهي، الفكر الناضج والحيوي يبقى مدى التاريخ جلياً لا ينضب ولا يموت، وقد آل العرب في فكرهم وتفكيرهم اليوم إلى شحوب كأنهم يتحشرجون في طريقهم إلى الموت بعد أن عصفت الأقدار ذات اليمين وذات الشمال من دون أن يعرفوا من أين يبدأ طريقهم.

الحياة العربية ستمضي من سيء إلى أسوأ وستبقى مفتوحة لكي تتلقى المزيد من الضربات الموجعة من دون أن يستفيق أصحابها أبداً من نومهم.

قال لي صاحبي : بل هم أحياء لكنهم كالأموات، قلت : سيبقى العرب يعانون من المحن وإضراب الأحن وهم يشيعون أنفسهم إلى طيات الثرى من دون أن يفكروا يوماً بأن يكونوا من أصحاب العقل

شحوب الفكر العربي المعاصر.. رؤية من أجل استعادة الأمل المفقود

الشجاع في هذه الأمة هو الضحية.. والمفكر الحقيقي هو من يهتم بالمعلومات لا بوجهات النظر

د . سيار الجميل*

والرشاد ليعترفوا في لحظة واحدة أنهم من المذنبين.

إذا ما قيض لمن يتابع المسيرة الفكرية للعرب في القرن العشرين فسيرى العجب العجاب، وسيلتقط الرؤى ويتلهف لمن سبقه ويسير على الخطوات نفسها المتعبة من دون أن يرسم له منهجاً جديداً في التفكير ولا مشروع جديد في الرؤية والحياة، ربما سيبرز هنا أو هناك من له القدرة على أن يخرج من الدوامة البلهاء وسيغدو متحرراً ليلحق بالنخبة الرائعة ويترك هذا الخليط العجيب من العشرات الذين أساءوا إلى التاريخ والواقع وهم يسمون أنفسهم بـ «المفكرين أو المثقفين العرب» الذين لا يدركون أولويات المعاني والأشياء وهم ينفخون أنفسهم بالألقاب العلمية أو بصفات المختصين أو بمناشيتات الإعلاميين المزيفين.

لا يدعون أي فكرة ناجحة تنشر على الناس ولهم القدرة في محاصرة كل الأكفاء والأذكياء والموهوبين والمبدعين، تجدهم اليوم وقد غدوا مافيات يتلاعبون بمصالح أنبل وسائل الفكر، لا يريدون أن ترتسم الأفكار الجديدة في تشكيلاتها وبنيوياتها، وهناك من هو مسلط على النابهين تجدهم عصابات سياسية وإعلامية وجامعية وقلوبهم شتى، تجدهم غرقى بكل الموبقات : يحاصرون فكرة الحقيقة ويحقدون على نخبتها العليا ويستخدمون ببساطة كل فنون الارتداد والتراجع : حظر قضائي، وقهر اجتماعي وعهر سياسي، التهم جاهزة بكل أوصافها التعيسة والجارحة لكل من يقف معترضاً على هذا الحال والأحوال، وكم ذهب ضحية تلك الأحقاد والخصومات عندما يخالفك أحد برأيه، فيصبح وكأنه صاحب مثالب أو كأنه من عتاة المجرمين، وأصعب الأمور عندما يسكت المفكر العربي عن مأساة شعب.

شحوب الفكر العربي .. لماذا؟

□ نعم إنه شاحب ما دام لا يعبر عن الواقع تعبيراً ملتزماً وأميناً وحيادياً وصادقاً، لقد نخرت الأيديولوجيات السابقة كل منطلقاته الأساسية وأولوياته الحقيقية وقد اختلطت الأمور بعضها ببعض آخر، فالمؤسسات العلمية العربية بائسة تمام البؤس والإعلام العربي قد وصل إلى درجة من التفاهة والبشاعة، بحيث غدا يشوه ويسمم عن قصد وسبق إصرار كل الصفحات البيضاء التي سيمتلكها الجيل الجديد، أصبحنا نجد من يسمون أنفسهم كتاباً كباراً من العرب لا يعرفون الإملاء العربي الذي تمكنت منه الأجيال السابقة في الابتدائيات! أصبح الشغل الشاغل للكتاب الكبار أن يشاركوا في هذا العرس المجنون ليكتبوا أي شيء من أجل دريهمات يفرحون بها من صحف أو مجلات تندفع كالسيل لا يعرف محررها ألفها من يائها! ولقد غدا الناس يغرمون بحضور الندوات والمهرجانات وكأنها احتفاليات اجتماعية من دون أن يفكروا قليلاً ما الجدوى من سماع بيان سياسي مجلجل وما نفع إلقاء قصيدة شعر ساخنة وما تأثير أغنية عاطفية يعيدونها ويصقلونها ببلادة وجنون؟!

أما ما يسمى بالبحث العلمي العربي فلقد ضحكنا على أنفسنا طويلاً نحن العرب ولم تزل جامعاتنا تتنطع بهذا الذي يسمونه «بحث علمي» وكم استهلكت الأخلاق في خضمه؟ وكم سرقت جهوداً وأفكاراً باسمه؟ وكم نشرت مجلات ودوريات وأعمال مؤتمرات لا فائدة فيها البتة؟ لسبب بسيط واحد هو أن العملات العربية الرديئة طاردة دوماً على مدى عقود من الزمن كل العملة العربية الناصعة والجيدة من أماكنها الحقيقية.

لا معالجات حقيقية من دون نقد حقيقي

□ الناقد عندنا لا يستطيع العيش في أوساط الذين لا عمل لهم إلاّ كيل المديح وهز الرؤوس أو وسط أقوام من المنافقين والكسالى والأغبياء، إنه يعرفهم لا يقرأون أبداً، وتجدهم يعلنون بكل صفاقة عن توزيع أحكام بالجملة على هذا وذاك، الضحية من يقول كلمة حق في هذه الأمة! الضحية من لا يجامل على حساب مشاعر الآخرين! الشجاع هو الضحية دوماً في حياة هذه الأمة، إنه الذي يكشف ما استطاع من التزييفات التي تصل إلى حد الجبن عند الآخرين من الذين يتربعون في أماكنهم ويوزعون أحكامهم وسفاهاتهم! المفكر الحقيقي من استطاع أن يعالج النصوص والأقوال وجملة مقول قول الخطاب بكل جرأة ومضاء ودقة ويكتشف الحقائق ويعلنا من دون أن يلتفت إلى هذا وذاك، المفكر الحقيقي هو من يهتم بالمعلومات لا بوجهات النظر، إنه يؤسس على الأولى ويحترم الثانية، وكم نجد موضوعات مكررة في حياة هذا الفكر العربي الشاحب، ويا للأسف الشديد، تجدهم يقلد أحدهم الآخر ونادرة هي فرص الابتكار وإسداء الحلول وتحليل المعالجات، وكما يحدث في كل الفنون «الأدبية» والمنتجات «العلمية» انحسر أمر المقروءات على حساب أي نوع من الكتابات وندرت الأعمال المترجمة عن اللغات الأساسية الحية في العالم، وتقلصت حتى تلك القراءات التي يستلزم من المثقف العناية بأمر آقرانه ومنتجاتهم، تجد عقدة الخواجا قد تمكنت من أعماق هذه السيول العارمة من نخب العقدة الخفية، فهم يلعنون الغرب وأمريكا ليل نهار ولا يميزون أبداً بين مجتمعات الغرب وسياسات دوله!

خذلان العقل العربي

□ إن ما فرض على المجتمعات العربية المعاصرة بعيد العام ١٩٧٩م من أطواق سلطوية وأمنية ورقابية عديدة قد زادت في خذلان العقل العربي الذي كان قد طُوق بالأيديولوجيات المستوردة والتفاهة والرومانية البلدية منذ أكثر من خمسين عاماً، وخصوصاً بعد العام ١٩٤٩م حتى غدا اليوم عند بدايات القرن الواحد والعشرين يخشى على نفسه من ظواهر لم تكن موجودة في ما مضى من الأيام، ومثلما عششت في النفوس والمشاعر الساخنة تعبيرات كالخيانة والرجعية والعمالة... الخ، في قواميس الكتاب والمفكرين القوميين والبعثيين والتقدميين، شاعت اليوم تعبيرات مثل التكفير والردة والضلالة والمروق... الخ، وكلها تكشف عن وجوه تختفي وراء أقنعة أيديولوجيات سياسية هشة لا تقاوم هذا الواقع، أو أنها تعيش وراء جدران السلطويات المتنوعة في كل من الدولة والمجتمع، وحيث تبلورت للوجود نخب شابة جديدة من جيل جديد، فلقد ورثت الأنماط نفسها والعادات ذاتها، ولكنها اليوم تعيش فراغاً قاتلاً بين واقع موبوء بكل الأمراض السيئة وبين متغيرات صاعقة هي بمثابة صدمات قوية جداً، وعليه فالمطلوب الانفتاح على حياة هذا العصر الجديد الذي لا يمكننا مقاومته أبداً، ولا يضحك على الناس من يقول إنه سينعزل عن روح هذا العصر وهو لا يشعر بأن كل معطيات هذا العصر تحاصره وهو المستفيد منها أولاً وآخراً!

هل من احتضان بدائل جديدة أيها العرب

□ هذا هو السؤال الحقيقي الذي لابد من الإجابة عليه مع طرح نوعية تلك البدائل، فالدنيا تمشي إلى الأمام ولا يمكن إرجاع القديم إلى قدمه أبداً، هل ستتوفر إرادة عربية جديدة تعلن بكل وضوح عن أجندة مستقبلية؟ هل من بداية لزمن تشبع فيه النقدات الحقيقية ويتوفر فيه قدر من الحريات والجرأة، وأن تكون هي نفسها رقيبة لأعمالها؟ وليس معنى استخدام الحريات أن يتحول العرب إلى لوحة سوريالية من المضحكات المبكيات كالتي تمارسها اليوم بعض القنوات الفضائية الفوضوية بكل جهالة إعلامييها وتنطع ضيوفها، فالمخفي كان أعظم، إن أبعاد الفكر العربي المعاصر عن شحوبة يستلزم أساساً أن يبعد كل من المفكرين والمثقفين الساسة العرب عن السيكيولوجيات والعادات السيئة الموروثة، وأن يكونوا ملتصقين حقيقيين بواقعهم المضني لا ببهرجة التلفزيونات والندوات في فنادق الدرجة الأولى! على من يحمل رسالة شريفة وأمينة باسم الفكر العربي أن يبعد مشاعره عن روح الأحقاد والكراهية وعن الدهاليز المظلمة التي لم تجد النور أبداً، عليه ألاّ يجحد أعمال غيره من آقرانه، ولا يبخس بأية بضاعة كانت إلاّ بعد فحصها وتبيان مثاليها، على أمثال هؤلاء العرب من سدنة الأيديولوجيات التي تتبناها مراكز بحوث ومؤسسات ومنظمات وجماعات وأحزاب، أن تبتعد عن التفكير السوقي والبضاعة الفاسدة والشعارات العتيقة، عليهم الابتعاد عن العفرتة والزقاقية والابتذالية المجانية والكوميديات الهزلية بعرف العقلاء، أن يتخلصوا من الدعايات المجانية والتشهيرات السيئة وأساليب التعتيم على الصرحاء الطلقاء من علماء ومختصين ومبدعين حقيقيين، عليهم التخلص من الببغاويات والتكرار والترديد وآليات التقليد، ناهيكم عن جلافة التفكير والإدانة وعن سرقة الأفكار والمجهودات عن الآخرين.

*كاتب عربي